Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (1) July(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

خطابُ السِلم في العصر الجاهلي(دراسةٌ تأويلية)

المدرس المساعد نوررحيم جنيوي
مديرية تربية المثنى

The speech of peace in the pre-Islamic era (Interpretive study)

Assistant teacher Noor Rahim Hanew
Email: Nooraliaa4511@gmail.com

الملخص

لاشك ان عمليات الحفر التي نهض بها عددُ كبير من النقاد العرب، انتجت خطابات تأويلية غيّرت مجرى الفهم والتاريخ لدى المتلقي العربي، ما حدا بالكثيرين الى شقّ غبار تلك الضبابية التي تكتنف الادب العربي، بخاصة الشعر الجاهلي منه، والذي وجدنا ان الغوص في كنه، والبحث عن جواهره العميقة ، جزء من تلك الدراسات والابحاث الهيرمنيويطيقة، التي تبحث في تعدد المعاني العميقة، ومقاصد الكلام ومرجعيات النصوص وثقافات المتكلمين وانساقهم . ومن هنا اخترنا ثيمة السِّلم في الشعر الجاهلي ، اذ يعد من اهم الموضوعات الرئيسة فيه، كونه ساهم في الحفاظ على الوجود الإنساني من العدمية ، فالحرب والسلم سارا في خطين متوازيين في تشكيل القصيدة العربية الجاهلية، بل نجدها أحيانا مصاحبة لأغراض شعرية كالفخر والمدح والهجاء، وسعت الدراسة الى كشف مضمرات موضوعة السلم الى جانب موضوعة الحرب في النص الشعري، وقد تتغلب عليها وتقوضها في بعض الأحيان. فضلا عن توجيه كاشف دراستنا على قيم السماحة وتعظيم المحاسن الأخلاقية، واستجلاء الخطاب الإصلاحي المرافق للدعوة الى السلم، والافصاح عن المضمون المغيب في قصائد السلم، التي تتغنى وتفتخر بالحروب وفي الوقت نفسه ، تنعتها بالصفات الذميمة، نلمسها خلال قرائن متعددة منها: (كريهة ، يوم شؤم ، الشمطاء، الذميمة)، فمشكلة الدراسة هي الكشف عن إشكالية الدعوة الى السلم في النص الشعري الجاهلي وما يترتب عليها من امور مرادفة او مضادة لها عبر مضمراتها المغيبة، والتي يؤكد بعض منها، ان الحرب لم تكن اختيارا مفضلا ، بل واقعا اجبر عليه العربي، واضطر الى خوضها دفعا للظلم وانصافا للكرامة، ومنعا للذل والهوان ودفعا للجور. وبهذا نفهم وندرك ان العرب ليست امة حروب بدوية جاهلة كما نقرأ في بعض الانساق التاريخية الغيرية والمغايرة لها .

الكلمات المفتاحية : خطاب، السلم ، العصر الجاهلي ، دراسة ، تأويل

Abstract:

There is no doubt that the excavations carried out by a large number of Arab critics produced interpretive discourses that changed the course of understanding and history among the Arab recipient, which led many to tear through the dust of the ambiguity that surrounds Arab literature, especially pre-Islamic poetry, which we found is necessary to delve into and research. About its deep essences, part of those hermeneutical studies and research, which investigate the multiplicity of deep meanings, the purposes of speech, the references of texts, and the cultures and patterns of speakers. Hence, we chose the theme of peace in pre-Islamic poetry, as it is considered one of the most important main themes in it, as it contributed to preserving human existence from nihilism. War and peace proceeded in two parallel lines in the formation of pre-Islamic Arabic poetry. Rather, we sometimes find it accompanying poetic purposes such as pride, praise, and satire. The study aims to reveal the implications of the theme of peace alongside the theme of war in the poetic text, and it may overcome and undermine it at times. In addition to directing our study on the values of tolerance and maximizing moral virtues, clarifying the reformist discourse that accompanies the call to peace, and revealing the hidden content in peace poems, which sing and boast about wars and at the same time, describe them with reprehensible qualities, we sense them through multiple clues, including: (repulsive, day The problem of the study is to reveal the problem of the call to peace in the pre-Islamic poetic text and the consequent matters that are synonymous or antithetical to it through its absent implications, some of which confirm that war was not a preferred choice, but rather a reality that the Arab was

forced into. He was forced to go through it in order to repel injustice and do justice to dignity, to prevent humiliation and humiliation, and to repel injustice. In this way, we understand and realize that the Arabs are not a nation of ignorant Bedouin wars, as we read in some heterogeneous and different historical patterns.
Keywords: discourse, peace, pre-Islamic era, study, interpretation

المقدمة

تناول البحث خطاب السلم في العصر الجاهلي ، على الرغم من وجود اراء كثيرة تصفه بـ(عصر الحروب)، لكثرة التناحر فيه وطيش سفك دماء، فالدراساتُ السابقة صبّت اهتمامها على وظيفة الحرب في نضج واكتمال القصيدة العربية، وقليل من نظر الى خطاب السلم على الرغم من ان اغلب القصائد تحمل في طياتها دعوة الى السلم ظاهرة كانت ام مضمرة، اذ سعت الدراسة الى استجلاء القيم الخلقية وملامسة نزعة الخطاب الإصلاحي المصاحب للدعوة الى السلم،ما يدعونا الى إعادة قراءة حقيقية واعية لتراثنا الشعري مستعينين بأدوات القراءة الحديثة للوصول الى التصور الدقيق للمجتمع العربي الجاهلي، اذ نجد السلم شكل نسقا مجتمعيا ثقافيا بحاجة الى التتبع والكشف لمعرفة دلالاته، وذلك لان كثير من القراءات التي يحملها الخطاب تجعله يصلح لدراسة والتوسع، فيه ، وقد ضمّ البحث تمهيداً تضمن (حدود التأويل وضوابطه) و مبحثين تضمَّن الأول (تمثلات السلم الظاهرة)والمبحث الثاني (تمثلات السلم المضمرة).

منهج الدراسة :

قامت الدراسة على استعمال آليات المنهج التأويلي، بوصفه ممارسة تأويلية يمكن بوساطتها قراءة النصوص والبحث في حيثياتها، إذ استطاع من خلاله الوقوف على ظواهر السلم في الشعر الجاهلي، وما يرتبط بها من قرائن معلنة ومضمرة .

اهداف الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في البحث عن مفردات السلم في الشعر الجاهلي واستخراج انساقها ودلالاتها المضمرة، والتي جسدها الشعراء في العصر الجاهلي، بوصف السلم عاملا ضروريا في استمرار الحياة وضالة ينشدها العربي على الرغم من التغييب ، فبحثنا في تمثلات السلم الظاهرة وتمثلات المضرة في الشعر الجاهلي، واثبتنا توفرها بشكل يمكن الإمساك به

هيكل الدراسة :

- **الإطار المنهجي للدراسة .**
- التمهيد: قراءة في مفهوم التأويل .
- المبحث الأول: التمثلات السلم الظاهرة .
- المبحث الثاني :التمثلات السلم المضمرة .

حدود التأويل وضوابطه :

لقد اهتم النقد الأدبي بتوسيع دائرة فهم النصوص الأدبية، وكان التأويل من اهم النظريات التي اهتمت بتذوق النص الادبي وتعدد مظانه، اذ تجعل النصوص تنطوي على اكثر من دلالة من دون ان تغلب دلالة منها على أخرى ليحقق السكت الشعري ، ولا تتم هذه العملية الا عن طريق التفاعل بين المتلقي والنص ، فيحول القراءة من فعل استهلاك الى فعل انتاج ، فالتأويل هو انتاج وتوليد بدافع الاستمرارية والتجدد والكشف المتنامي والتأويل لغة " مأخوذ من يؤول الى كذا ، أي صار إليه" (ابن منظور، (د.ت)، ج١٠: ٣٢) ،وهو "الترجيح في اللغة، علماء (صليبا، ١٩٩٤: ٢٣٤) ، والتأويل لو لم يظهر بوصفه حاجة فكرية ومعرفية ومنهجية الا حينما جاء مقترنا بالنص الديني، وهذا الامر جعل الباحثين والمهتمين في هذا المجال يذهبون الى ان التأويل هو قراءة خاصة من قراءات النص الديني، وخاصة الانجيل والقران (عزت السيد، ٢٠١٢: ٥١٧) ، فعلماء اللاهوت المسيحي يرون ان تأيل" تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا يكشف عن معانيها الخفية(صليبا، ١٩٩٤: ٢٣٤) ، وتجلت تعدد القراءات في النص القرآني بوضوح ثنائية الظاهر\ الباطن كما تجلت أيضا في الوجود والانسانأي ان بعض النصوص تحتاج آلية خاصة لقراءتها في ضوء وجود علامات في النص، تستدعي إعادة النظر في العلاقة بين الظاهر والباطن من جهة والنص واشاراته الخفية او العرضية او الظاهرية، والوصول الى مضمراتها.والتأويل في(الاصطلاح) عند (شلاير ماخر) هو "فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم" (شرفي: ٢٠٠٧: ١٧) ، ، ويرادف مصطلح (التأويل) مصطلح (الهيرمنيوطقيا) و ترجمت ب(فن التأويل)، وتعني فن التأويل وتفسير النصوص، بتبيان بنيتها الداخلية والوصفية ووظيفتها المعيارية والمعرفية ، والبحث عن حقائق مضمرة في النصوص" (حفناوي، ٢٠١١: ٢) ، وتوجد كثير من المصطلحات

المتقاربة والمتداخلة بين اعلام النظرية التأويلية والمحدثين، فمنهم من دمج هذه المفاهيم، وهناك من يفرق بينها تفريقا جليا، اذ ان (شلاير ماخر) يقصي التأويل ويضع الفهم في مركز النظرية التأويلية، لأن التأويل يبحث في المعنى الحرفي أو المجازي، في حين ان المطلوب هو فهم الاخر في غيرته (شرفي: ٢٠٠٧: ١٨) ، فيرى التعدد والاختلاف حول النص الادبي يسفر عن وظيفة جديدة للمتلقي حل فيها محل المؤلف " ان المؤول فاعل ابداعي لحق الصور والمفاهيم من كنه النص، فيعطيه قدرة الخلق والابداع عبر حلقة هيرمينوطقية من خلال خلق التجانس بين المبدع والمتلقي" (فيدوح ، ٢٠٠٩: ٥١) ، ويتفق(دلتاي)مع (شلاير ماخر) في وصف التأويل، شكل من اشكال الفهم ويميز بينه وبين التفسير " ان التفسير في نظر (دلتاي) هو المنهج العلمي المناسب الذي تتميز به العلوم و المدارس الوضعية، في حين يشكل الفهم جوهر العلوم الروحية" (شرفي: ٢٠٠٧: ١٨) ونجد (هايدجر) ينظر الى الفهم بوصفه مكونا لكينونة الكائن، وباعتباره كيفية أساسية لوجوده ولمقاربته للعالم ولذاته ، اما تأويل غرضه الإمساك بهذا الفهم واخراجه الى دائرة الوعي ويقاربه من وجهة نظر مشابهة (شرفي: ٢٠٠٧: ١٩) ،ويرى (فولف) ان التأويل : " يهدف إلى فهم أفكار الآخرين وتفسيرها عبر علاماتها ، فالفهم يحصل عندما تستيقظ التمثلات والاحساسات في نفس القارئ وفقا للنظام والعلاقة القائمة في نفس المؤلف" (بودمة ،(ت.ت) ٨١) ، ودمج (غادمير) التأويل في ثلاث مراحل في كل ممارسة تأويلية، هي الفهم والتفسير أو تأويل والتطبيق، ويوكد على ان كل مرحلة من هذه المراحل تشكل جزءا مهما لا يتجزأ من العملية التأويلية، فلا يمكن حضور تفسير وغياب الفهم ، اذ اننا نفسر أولا وأخيرا ما نكون قد فهمناه (شرفي: ٢٠٠٧: ٣٣-٢١) وفي ضوء ما تقدم يشكل التأويل عملية تواصلية بين النص والمتلقي وفق ضوابط وقراءة وقواعد فهم.ثم مقايسه تتعاون فيهما ذهنيتان الذوق والعقل" (العروي،١٩٩٢: ٣١٤) ، ان مراتب التأويلية ثلاث تفهيم وتفسير وتأويل " فكل متن لغوي لا يحتمل الا معنى واحدا، فهو نص والرتبة الهيرميوطيقية الملائمة له رتبة التفهيم وتأتي بعد رتبة التفهيم رتبة التفسير ....أما التأويل فهي متعلقة بالمتون التي تحتمل أكثر من معنى محتمل من غير ترجيح " (إسكندر، ٢٠٠٨: ٥٦) فالتأويل ارتبط ارتباطا وثيقا بقصدية المؤول، اذ يرى ريكور " مهمة المؤول لاتقف عند حدود المعنى الدلالي الظاهري، بل تتجاوزه عن طريق تقصي بنياته التحتية الكامنة فيه، وتغلغل في اعماقه للكشف عن معناه الباطني ، انطلاقا من رصيده الثقافي والمعرفي واستنادا لقدرته التناصية في ربطه بين النصوص ....والمهمة التأويلية محكومة بفهم القارئ للنص نفسه (بول ريكور، ٢٠٠٦: ١٤٦) [١]، حسب رأيه التأويل هو " ان نقرأ ، يعني بافتراض اكثر عمومية أن ننتج خطابا جديدا وأن نربطه بالنص المقروء يكشف- داخل التكوين الداخلي للنص ذاته -قدرة اصيلة على استعادة الخطاب لذاته بشكل متجدد، وهي التي تعطي خاصيته المفتوحة على الدوام... فالتأويل هو النهاية الفعلية لهذا الارتباط (بين خطاب واخر)... كما يحتفظ التأويل بخاصية الامتلاك ، امتلاك فهم متجدد للنص والذات المؤولة مميزة للتأويل نفسها ، وهي الخاصية التي جعلها كل من شلاير مخر وبولتمان مميزة للتأويل" (بول ريكو، ٢٠٠٥: ٤٧) [٢]، وينبذ(ايكو) التأويل المفرط وبالتالي كان فعل القراءة عنده قائم على الجدلية أي على التفاعل المركب بين أهلية القارئ والأهلية التي يستند عليها النص لكي يقرأه قراءة اقتصادية (ايكو،٢٠١٤: ٣٢وتكمن العملية التأويلية في سبر اغوار النص واستخراج الدلالات العميقة الثاوية في البنية النصية ب"اتخاذ اساليب وإجراءات لاستنطاق الصمت من روح الشعر بنضج فني من خلال فاعلية الفهم لفك النصوص (الجزائري ، ١٠١٦:١-٢) [٣] فالوصول الى المعنى الخفي او المضمر يتطلب معايير وقواعد صارمة يقوم المؤول بتطبيقها على الاعمال الشعرية التي تستدعي منه أحيانا الانزياح عنها ، لكن انزياحه يكون بالطريقة الإيجابية وفي حدود المعقول ليكشف عن معناه الخفي المنزاح" (الجزائري ، ١٠١٦: ٤١) فيعتمد على التناقض وتعدد المعنى، فالتأويل عملية تواصلية بين المتلقي، والنص الادبي في ضوء ضوابط القراءة وقواعد الفهم وضعت النظرية التأويلية عددا من المصطلحات والمفاهيم الإجرائية التي يتوسل فيها القارئ في ممارسته للكشف عن اسراره المنوطة واستراتيجياته الدينامية مستعار من حقول كل شي المنطق والفلسفة والتداولية يكون قادرا على تشريح وتصنيف النصوص، فلكل نص نواميسه الخاصة وقوانينه المحايثة ، فلكل قارئ عالمه وخلفياته ومؤهلاته، وكانت اليات التأويل غير محددة ، لكي لا تنحصر العملية التأويلية ويختفي النص ويفقد خاصية الانفتاح، التي تُعد من اهم الخصائص التي تميز بها .

المبحث الأول : تمثلات السلم الظاهرة :

نجد ثنائية السلم و الحرب ترجع الى بيئة العرب وحياتهم ، إذ كانوا يعيشون في شبة الجزيرة العربية ، وتنقسم حياتهم الى نوعين ، نوع استقر في مكان واحد لوجود أسباب عيش ميسرة ومنتظمة ، وعرف هذا النوع بالحضر يمثلون سكان القرى والمدن، فيعيشون على ما تنتجه البقعة من زراعة ويعملون في التجارة، وكانوا يمثلون اقلية السكان , والقسم الاخر لم تتهيأ لهم الظروف للعيش في المدينة، فعاش بين ربوع الصحراء ، وهؤلاء هم البدو يعيشون في الصحراء متفرقين مبعثرين على شكل قبائل يعتمدون على حيواناتهم الابل والغنم والخيل وهؤلاء غالبية السكان، فان قله الخير وانتشار الفقر وعدم التنوع في وسائل الحياة الى الاعتداء على الاخرين وشن الغارات الحروب (الجندي، ١٩٩٦: ١٦-١٨) ،تمثل هذا الامر في

اشعارهم ولاسيما ان الشعر سجل العرب فيه علومهم واخبارهم وحكمهم ومنجزهم الادبي معا، لذا نجد الحضور التاريخي مهيمن على اغلب الاشعار، فشكل "ديوان العرب خاصه والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها والشاهد على احكامها حتى لقد بلغ من كلف العرب به ، وتفضيلها له، ان عمدت الى سبع قصائد، تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة , وعلقتها بين استار الكعبة" (الفيفي، ٢٠٠٧: ١٦-١٨ ، وهذه الأهمية جعلت الشعراء لهم مكانة مجتمعية تارة نجد شاعر داعية لسلم، وتارة أخرى نجد شاعرا اخرا داعية للحرب، الا ان السلم شكّل كان يمتلك حظوظا لا تقل عن حظوظ شعر الحرب كما في قول: عامر بن جوين طائي (البحتري ١٩٢٩ : ١٣٧):

المرء يبكي للسلامة والسلا مة قد تحصُّـــــــــــه

فالسلامة في ثقافة وتقاليد الشاعر الجاهلي، فعلا محمودا وضروريا، بوصفه يشكل خلاصا من عقلية الحرب والقتل، وتشكل ثنائية الحرب مشروعا للحلم بواقع جدير يتصف بالسلم وشفافيته ،وبسطو محاسن اثارها من ثم ضرورة التريث والتعقل ودفع ما لا تحمد عقباه، فالبكاء يفصح عن تناقضات الواقع المؤلم واحساسه العميق بمؤامرات النسق الحربي، فشعور الجميع بأهمية السلم يستحق ان يثبتوا ارضيته ويبنوا دعائمه ويحافظوا عليه، لذا تخلل هذا النتاج الثري كثير من الاشعار التي حملت نسقية السلم.على الرغم من ان اغلب المصادر تشير الى ان ما يميز حياة العرب في الجاهلية، انها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى أصبحت سنة من سنن حياتهم، اذ نجدهم في الغالب قاتلين او مقتولين لا يفرغون من دم الى دم ، ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر، فهو شريعتهم المقدسة التي تصطبغ بالصبغة الدينية (ضيف ، ١١١٩:) ، الا ان الفاحص والمتأمل للشعر الجاهلي يجد تتخلله كثير من الانساق، التي تحمل في ظاهرها ومضمرها خطاب السلم، كما في قول (الزويني، ٢٠١٥: ١٨٧)

تعفو الملوك عن العظ يم من الذنوب لفضلها ...

يصرح الخطاب الشعري بسمة العفو التي كانت ملازمة للملوك، الذين يمثلون الطبقة العليا، فيجد الشاعر في افعالهم مسوغا لغيرهم من عامة الناس، فضلا عن تمجيد المثل العليا من صنع المعروف ومد يد العون وحماية الضعيف، وقرى الضيف وحماية اللاجئ والدفاع عن الجار، هذه المثل قدسها العربي وافتخر بها ،وكان داعيا الى تمجيدها، فهي من صفات الملوك الذين يمثلون الطبقة العليا في المجتمع ويحتذى بهم شعبهم ، هذا الامر يجعل المجتمع الذي يعيش فيه يتباهون بفعلها ويدفعون اخرين الى الإسراع في عملها (عبد الرحمن، ١٩٨٤: ٦٩) ومن مصاديق ذلك قول الفند الزماني (البحتري ١٩٢٩ :٧٤)

كففنا عن بني هند وقلنا القوم إخوانُ
عسى الأيام أن ترجع قوماً كالذي كان
فلما صرح الشر فأضحى وهو عرين
ولم يبقى سوى العدوان دنهم كما دانوا

تنوعت مقاصد الشاعر فيتحول الخطاب السلمي الى الخطاب الحربي وبروز الشر والعدوان، بل القارئ يذهب الى ابعد من المعاني السابقة، اذ يرى ان الحرب لجأ اليها مضطرا بعد ضياع فرصة السلام التي مثلت اقصى طموح وامال ومساعي الشاعر المرجوة، وذلك في ضوء الكف عن الأذى والدعوة الى الاخوة وجعل الأمور تسير على مجرها، اذ ان العربي الأصيل كريم عندما يشعر ان الكرم واجب، وهو بخيل على الناس عندما يشعر في نفسه مبررا لهذا البخل، وهو رحيم عندما يكون غير مظلوم وهو يعطف على أقاربه وذوي رحمه وسفّاك للدم عندما يشعر ان حماه قد استبيحت او يحارب قبيلة ليثأر من هزيمتها له ولقومه ولسفكها دمها (عبد الرحمن، ١٩٨٤: ٧٠) ،فيفصح الشاعر عن الخصم الذي لم يبق له خيارا أخرى كما في قول بلعاء بن قيس الكناني(ابي الحسن، ١٩٩٤: ١١ ١٦٣)

دعوت أبا ليلى الى السلم كي يرى ..... برأي اصيل او يؤول الى الحلم
دعاني اشب الحرب بيني وبينه ..... فقلت له مهلا هلم الى السلم

يلح الشاعر على ضرورة التمسك بالأمل المرتقب(السلم)، لذا نجد الدعوة الخطابية تتصدر المدونة الشعرية في ضوء نعت السلم بالراي الأصيل الذي يفصح عن رجاحة العقل ووثاقة الحلم ، وهذا الامر يدل على وعي العرب بمركزية السلم التي غيبتها المدونة النقدية ،فالشاعر كرر الدعوة نفسها في البيت التالي تأكيدا لمقصدية الشاعر في العدول عن الحرب من خلال ضرورة تحقيق السلم، ولا عجب في ذلك؛ لان العرب حملوا صفات الكرم والتسامح والعفو التي قليلا ما سلط عليها الضوء، "كان كريما يوقد النار للضيف لليلا ليراها فيقبل نحوها، ويبيح كل ما هو ملك لغيره"

(عبد الرحمن، ١٩٨٤: ٦٨) ، جعل الشاعر يعود الى منطق العقل والسلام بالعدول عن الحرب، وهذا ما نجده ايضا عند عروة ابن الورد (الملوحي،١٩٦٦: ١٢٨)

عليك السلم فأسلمها اذا ما..... اواك له لبين او مقيل

بأن يعيا القليل عليك حتى ..... تصير له ويأكلك الذليل

بدءا لابد التسليم بأن الخطاب يرفض الحرب رفضا شديدا، بغية منه تصحيح المفاهيم المتجذرة في العقلية الجاهلية حول موقف الحرب التي تحول الحياة البشرية الى تشرذم، اذ ان الشاعر ذات تماس واضح بالتجربة الإنسانية ، فدلالة (عليك بالسلم) فعل استلزام حواري في حين لم يقع الاعتداء او المساس بكرامتهم او شعورهم بالذل، فالدعوة الى سلم شكلت هاجس نفسي لدى الشاعر، وهذا الامر يعكس وجهة نظره في تحجيم الصراع الإنساني ، فيبحث الشاعر عن فضاءات رحبة يتوحد فيها الانسان وتتلاشى في أتونها المفارقات الضدية لقب الشاعر زهير بـ(داعية السلام) اعتمد في دعوته التصريحية في التخلي عن الحرب بالتنفير وتضخيم مساوئها وعيوبها وشرورها في قوله (فاعور١٩٨٧: ٥٤):

وما حرب إلا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمـة

وتضر إذا ضريتموها فتضـرم

فتعرككم عرك الرحى بثقالـها

وتلقح كشافا ثم تنتبح فتتئـم

نلحظ ان صوت الشاعر لم يكن احاديا بل كان ناطقا باسم القبيلة يقدم ما تنتجه تلك الحرب معضدا بالعلم و التجربة من اجل تقوية حجته لغرض لتأكيد على عدم مجهولية حديثها ، وهذا الامر يقوض الظن والرجم في اطلاق الحكم على نتائج الحروب في ضوء الشواهد الصادقة ،إذ سعى الشاعر في ضوء استثارته منها الى تضخيم السوء الذي تأتي به ، إذ يخاطب المتخاصمين بعواقب تمسكهم بالحرب وينبه مسامع العقلاء منهم بضرورة الجنوح الى السلم وتوطين النفوس على الامتثال لشروط الصلح وسننه والرضا بنتائجه، في صور حسية متكاملة عن الذي يصبو الشاعر تحققه ، فلا يخفى على القارئ ان قصيدة زهير تشمل على جملة من القيم الخلقية وذا الامر برز في معلقته فكانت نظرة زهير واضحة للحرب ،و يمدح الشاعر كل من سعى الى انهاء الحرب بقوله: (فاعور١٩٨٧: ٥٠)

يمينا لنعم السيدان وجدتمـا

على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدمـا

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشـم

وقد قلتما : أن ندرك السلم واسعا

بمال ومعروف من الأمر نسلـم

يمدح الشاعر من يدعوا الى لإقرار بالسلم ويضحي من أجله، ، اذ ان الشاعر يصرح بالاشادة ويؤكد ذلك بالقسم بالسيدين " هرم بن سنان والحارث بن عوف لاتمامهم الصلح بين عبس وذبيان وتحملها أعباء ديات القتلى(١٩٨٢ ، : ١٣٩) ،وتداركهم العشيرتين بالسلم بعد ان تفانى أبنائهما في حرب داحس والغبراء ، وبذلا الأموال لاجل حقن الدماء فالموضوع لم يكن في طلب السلم بل تعدى ذلك الى فعل البذل وتقديم الغالي والنفيس، وهذا الامر يفصح عن نبذ الحرب ومحاولة تفاديها وقطع دابرها بكل الإمكانيات ، لذا نجدهم ارتقوا الى منزلة الشرف والعلياء بين الاقوام وسجل التاريخ اسمهما في صفحاته المشرفة بل ينبهر بمساعيهم الإنسانية، فالمدح والتمجيد لم يكن للأشخاص بعينهم بل الى افعالهم وسعيهم الحثيث الى انهاء الصراع الدموي استهلك كثيرا منهم، فيهدف الخطاب الى تعزيز عامل السلم ورفع مكانته في المجتمع بصورة والقبلية بصورة خاصة

المحث الثاني تمثلات السلم المضمرة :

يتجلى مفهوم السلام عند الشعراء في انساق مضمرة تفصح عن رؤيتهم أو رؤية قبليته، (القيسي ١٩٨٦: ٦٣) ، وافصح عن ذلك الصفات التي اتصفت بها الحرب (مرة المذاق– غشوم –شؤوم–شمطاء – كريهة) (الجندي، ١٩٩٦: ٤٣١) ، فضلا عن ظهور شعراء عرفوا بدعواتهم الى

السلم، فلقب زهير ابن ابي سلمى داعية السلم فظهر موقفه من الحرب موافقا الموقف العربي آنذاك، وظهر ذلك في ادوته الى السلم ولم يكن استثنائيا(عزام ٢٠٢٢: ٢٧)، إذ ان السلام ضالة الشاعر التي ينشدها في ضوء اشاراته الإضمارية وحيله النسقيه التي تخللت، طيات سياق الخطاب الشعري ، ونلحظ ان اغلب الخطابات تحمل تحذيرات من النسق المركزي والسلطوي للحرب في وعي الذات، وبذلك تنطلق الذات من واقعها المتوتر الى استحداث آليات أو انتاج أنساق فاعلة، لخلق واقع مغاير يكسر من خلاله مركزية الحرب ويقوضها، لذا نجد الشاعر الفند الزماني يقول (السيوطي ١٩٦٦ :١٢\ ٩٤٥)

شددنا شدة الليث غدا والليث غضبانُ
بضربٍ فيهِ تأييمٌ وإيتامٌ وارنانٌ
بطعن كفم الزق غدا والزق ملآن

يبدو للمتلقى في الوهلة الأولى اهتمام الشاعر بالبطولة وحضور نسق الفروسية التي يتغنى بها العربي ويمجد فيها قومه، الا ان المدقق في غايتها يجد الاضطراب النفسي نتيجة غياب نسقية السلم ، فالذات واعية باحداث الحروب وما يترتب عليها من الاثار والالام والويلات ، فضلا عن ترميل النساء وتيتم الأطفال وصوت الحزن الذي يعلوها على كل صوت، اذ ان الحرب تقترن بصيغة الغضب التي يغيب فيها صوت العقل، فضلا عن نعتها بالألفاظ التي تعكس نفور النفس منها، كما في قول عمرو بن معدي كرب(ابي الحسن، ١٩٩٤: ١١ ١٦٣):

ومهر كريهة في صفحتيه نوافذ بالأسنة والسهام

ينعت الشاعر الحرب بالكراهية بوعي تام لهذ التسمية، اذ تعبر عن موقف نفسي سلبي تجاه شيء ما مقته وبغضه " فتكرهه أي تسخطه" (الزبيدي ١٩٧١، ج٩: ٨٧) ، وهذه الدلالة تشير الى نفور وازدراء طباع العرب منها واستنكارهم لها، على الرغم من التغني بالحروب ووقائعها وفخرهم بالبطولة فيها، إذ ان الحرب لا تدفع الا بالحروب حضور وعي، فتعدد التشبيهات بالنار والكريهه ، نجد في معلقة الشاعر عمرو بن كلثوم يخبرنا بكل فخر بيومِ الحربٍ الذي يكَثُرَ فيه الضرب والطعن يقولُهُ (الانباري(د.ت)٣٧٥) :

بيَوْمٍ كَريهةٍ ضَرْباً وَطَعْناً أَقَرَّ بهِ مَوَاليكِ العُيُونا

ان الصوت الظاهر يتغنى بمفاخر النصر والظفر بالاعداء بما يقر العيون ويسر الملوك بغض النظر عما خلفته هذه الحرب من مأساة واذى، فيفصح لنا ان القوم فازو ببغيتهم وظفروا بمناهم من قهر الأعداء، اذ إنه يُقدِّم البُشرى _ من وجهة نظره، ويَنشر خَبرَ النصر في الحرب بكل سعادة وفخر، الا ان الصوت الخفي العميق يعبر عن بشاعة الحرب، بوصفها بالكريهةُ لأن النفوسَ تَكرهها وتَمقتها ولا تستسيغها، والرفض الداخلي جعل الشاعر ينعتها بالكريهة ، فتجتمع الثنائيات الضدية المتمثلة ب(الكره والفخر) في الوقت نفسه، وهذا التذبذب يفصح عن وعي الشاعر الداخلي بحقيقتها ، وهذا ما ذكره النهشل بن حري(البحتري ١٩٢٩ :٢٣١)والحرب يلحق فيها الكارهون كما...تدنو الصحاح من الجربى فتعديهاتحمل دلالات الاكراه المتكررة في الخطاب الشعري المشاعر، التي تعترى الانسان ويصاحبها نفور شديد و عداوة او عدم التعاطف مع شخص ما أو مع فكرته أو الحكم المسبق عليه او ادانة فئة أو مجموعة من الناس (بوجمعة ، ٢٠٢٠: ٥) ، فولدت شدّة الكره ضغوطا نفسية اضحت تواجه الشاعر وتعرقل مبتغاه في الخلاص من واقعه المأزوم في ثقافة الحرب، مما جعله يطلق إشارات التنبيه التي تقترن بمرض الجرب المعدي الذي لا يشفى منه، فيبحث شاعرنا عن السلام المفقود وما يرافقه من السلامة في الحرب مشبهها بمرض بشع الذي تستنفره النفوس والاسماع، مع التشديد على نعت الكراهية التي رافقت الحرب عند اغلب الشعراء ، بل شكلت عامل مشترك ويواصل ذلك الشاعر معدي كرب، فينعتها أيضا بالألفاظ التي تدل تقويض مركزيتها في قوله (الطعان، ١٩٩٧: ١٥٦):

الحرب أوّل ما تكون فتيّة ... تسعى بزينتها لكلّ جهول
حتى إذا استعرت و شب ضرامها ... عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت ... مكروهة للشّم والتقبيل

يحمل الخطاب الدعوة الى السلم في نسق مضمر، تتجلى فيه الحرب بشكل مغري فيشبها بالفتاة الصغيرة المتزينة التي تستهوي النفوس متواري خلف صورتها البشعه واصفها ب(الشمطاء)، الا انها سرعان ما يسقط هذا القناع وتظهر على حقيقتها التي تبغضها النفوس، فنلحظ وعي الشاعر يصرّح بان الحرب قرارات متخبطة وقاسية ، يغيب فيها العقل ويحضر فيها والانفعال و العاطفة، فهي "اتجاه انفعالي عاطفي ومشاعر سلبية تتعارض مع حاجات الفرد ودوافعه ومعتقداته وقيمه، ويصاحبها اشمئزاز ومقت وبغض وعداء تدفعه لسلوك موجه ضد المكروه(فرج،٢٠١٥:

٢٥.)وفي ضوء ذلك نجد العرب يؤكدون على جانب الحرب السيء وبشاعته فينعتون الحرب بابشع الصور، ورفض الشاعر الجاهلي في خطابات كثيرة ظاهرة ومضمرة ، لانها لا تنتج الا الظلم وسفك ومصداق ذلك قول الشاعر كعب بن مالك الانصاري(البحتري ١٩٢٩ :١٦٨)

إياكم أن تظلموا أو تناصروا على الظلم إن الظلم يردى ويهلك

إوى ببني عبس وأحياء وائل وكم من دم بالظلم أصبح يسفك

تؤدي (اياك) وظيفية تحذيرية تبرز صوت الشاعر التائق الى تحقيق السلم ، فيشدد الشاعر على فض الظلم بقوله (اياكم والظلم) و (الظلم يردى ويهلك) و (دم بالظلم يسفك) أي عدم مناصرة الظالم، وان الظلم يهلك ويسفك الدماء ، اذ ان هذه القرائن تعكس دلالات عميقة عكست، ما كان يعجّ به صدر الشاعر من ظلم الحروب، وما تخلفه من ضحايا، فالظلم والسوء والبطش تضحى قيما سلبية في فكر الشاعر ووعيه ، وبذلك يكون هدفُ الشاعر ساميا ونبيلا يحمي حياة الاخرين يحقن دمائهم، وهذا الامر يخبر المتلقي أن ثمة ضغوط يواجهها الشاعر، مما جعلته يطلق إشاراته تنبيهية مبتغاه الخلاص من واقعه المأزوم في ثقافة الحرب ، فكان الشاعر يحاول دفعها بشتى الطرق ، اذ يقول قيس ابن الخطيم (الاسد ١٩٦٧: ٨١)

وكنت امرءا لا ابعث الحرب ظالما..... فلما أبو اشعلتها كل جانب

اربت يدفع الحرب حتى رأيتها..... عن الدفع لا تزداد غير تقارب

فان لم يكن غاية الموت مدفع ..... فأهلا بها إذ لم تزل في مراحب

لا يغادر الشعر العربي جانبا من جوانب الحياة الا تحدث عنها وسجلها وصورها، فكانت صورة العصر واضحة في السلم والحب في مثله العليا وطبيعة اهله وصف خير العصر ومافيه من نعمة وبركة كما وصف بؤسه وشقاءه وما ينزل به من جذب وقحط (الجبوري٢٠١٥: ١٧١.) ، أذ تفصح الذات الشاعر عن أنساق السلم في ضوء رفضها لمنطق الحرب، اذ تظهر القرائن المتتالية (لا ابعث الحرب) و(فلما أبو اشعلتها) عن رغبة الشاعر الشديدة وطموحاته المرجوة في نسق السلم، الا ان الحرب كانت ضرورة لابد منها لدفع الحرب ، فيؤكد " فكرة الحرب القائمة على وجود التصور الدائم لحضور الآخر العدو تضحي ثقافة فاعلة ومؤثرة تجعل الذات في حالة ترقب دائم لأنساق الشر التي تهدد وجودها وكيانها"(عليمات ، ٢٠١٥: ٩٤) نجد نموذجين انسانين متنافرين احدهما منغلق يجنح على هيمنة الحرب والعنف والقتل(القبيلة) والاخر فيجنح الى اخضاع الى ثقافة السلم (الذات) محاولة منه لهدم وشرخ نسقية الحرب وتجاوز لعنة القتل ،

نتائج :

١ – لم تكن الحرب اختيارا عند العربي، وانما فعلا استثنائي فرضه واقع اني غيبته المدونة العربية .

٢–يعلو الصوت الإنساني في ضوء نداء السلم في خطاب الشعري الحربي، على الرغم من التغني بالقيم الفروسية والبطولية .

٣– سار خطاب السلم مع الحرب في بعض القصائد في خطين متوازيين، والبعض الاخر تغلب على الحرب يحمل داخله (انساقا) مضمرة في طياتها ايحاءات (الالفاظ) التي تدل بذواتها عن معان السلام، فضلا عن ايحاءات المعنوية التي ينشدها الشاعر.

٤– حضور وعي الذات في الخطاب السلم في نعوت الحرب بالالفاظ (الكريهه –الشؤوم –الذميمة – الشمطاء)، التي تتعانق وتتحد في اتجاه واحد في سيرها وسيرورتها، للدعوة السلم المضمر.

٥– لم تكن في بعض الأحيان الحرب الخيار المفضل لديهم، بل اضطروا الى خوضها دفعا للظلم انتصافا للكرامة، ومنعا للذل والهوان ودفعا

٦– شغلت ثنائية (الحرب والسلم) حيزا (كبيرا) .من الشعر بوصفها البوتقة التي نتجت فيها عبقريات الرواد وعرفا ثابتا ومرتكزا رئيسا في التوجيه الفكري لشاعر ، فلا عجب ان نجدها تحضر بقوة في الشعر الجاهلي .

٧– ان العرب امة (تحمل) كثير من القيم العالية، والمثل العليا يتفاخر بها ابناؤها فيما بينهم في ذلك العصر، كالكرم والعفو والتسامح والحلم ، وهذا الامر ينافى ويناقض في ان يكون ذلك مجتمع .

٨–يبقى السلم هو الرجاء والحاجة الضرورة والمطلوبة، فهذا شعرهم وهذه حكاياتهم وهذه الفاظهم بكل ماتكتنزه من مغزى وما تضمنه من معنى وما تحمله من دلالة ،كلها تتعانق وتتحد نحو الامن والأمان والاستقرار، فتلك الحياة الرغيدة التي ينشدها الجميع.

٩– ان عدم (توجيه) الضوء على خطاب السلم وطمس الجانب المضيء، قد يعود لغرض وصف العرب امة حروب بدوية جاهلة، والباحثة يدحض هذه الآراء المتعجلة والمشوبة، التي كان الهدف منها الاساء الى العرب، ووصفهم بالتخلف وحب القتال.

Sources and references

•The Will of Interpretation and the Meaning of Poetry, Abdul Qadir Fidouh, Pages for Study and Publishing, Nile and Euphrates website, 1st edition 2009.
•Problems of interpretation and its references in contemporary Arab discourse/ Al-Mawqif Al-Adabi Magazine, Algeria, No. 440, 2011.
•The problem of reception between Foucault and Ricoeur: Boudma Abdel Qaher, Journal of Arab and Global Thought, Center for Arab National Development, Beirut, Lebanon.
•Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos: Al-Zubaidi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1971, vol.
•History of Arabic Literature in the Pre-Islamic Era: Dr. Shawqi Deif, Dar Al-Maaref, 11th edition, (ed.(.
•Poetic interpretation in Algerian applied criticism: Sidi Bel Abbas, Djilali Liabes University, Faculty of Languages and Arts, Algeria,
•Hate crimes, a comparative study in national and international laws: Wissam Bassam Faraj, master's thesis, College of Law, University of Baghdad, 2015.
•The limits of interpretation: Dr. Ezzat Al-Sayyid Ahmed, Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University, Damascus Magazine, No. 1, Volume: 28, 2012.
•Enthusiasm: Al-Buhturi, Al-Rahmaniyah Press, Egypt, 1st edition, 1929.
•Visual enthusiasm: Ali Ibn Abi Al-Hassan, The World of Books, Dar Sader, Beirut, 1994.
•The Enthusiasm of the Beautiful, from the poetry of the moderns and the ancients: Al-Zuwaini, Al-Yaqouta, Al-Hamra, 2015.
•Hate speech in the media and mechanisms for confronting it, Boudjemaa Radouane - Algerian Journal of Communication, Volume 19, Issue 2, 2020.
•Poetry of the poet Maadi Karb: Hashim Al-Taan, Al-Jumhuriya Press, Baghdad, 1997.
•Diwan of Zuhair Ibn Abi Salma: Written by: Ali Hassan Qaour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st
•Diwan Urwa Ibn al-Ward: Abd al-Mughni al-Mallouhi, Press of the Ministry of Culture and Scientific Guidance, Damascus, 1966.
•Diwan Qais Ibn Al-Hatim: Diwan: Dr. Nasser al-Din al-Assad, Dar Sader, 2nd edition, Beirut: 1967.
•Explanation of the Seven Long Poems: Ibn al-Anbari, Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar al-Maaref, 5th
•Explanation of the Seven Commentaries: Al-Hussein bin Ahmed bin Al-Hussein Abu Abdullah Al-Zouzani, Beirut Printing and Publishing House, 1982.
•Explanation of the Evidence of Al-Mughni: Jalal Al-Suyuti, Arab Heritage Committee, 1st edition, 1966.
•Pre-Islamic poetry between lyricism and objectivity: Abdullah bin Ahmed Al-Fifi, Annals of Ain Al-Shams,
•Pre-Islamic poetry, its characteristics and arts: Dehia Wahib Al-Jubouri, Dar Majdalawi, 1st edition, 2015.
•War poetry until the first century AH: Nouri Hamoudi Al-Qaisi, World of Books, Beirut, 1st edition, 1986.
•War poetry in the pre-Islamic era: Dr. Ali Al-Jundi, Arab League Library, Beirut, 3rd edition, 19966.
•Poetry and the days of the Arabs in pre-Islamic times: Dr. Afif Abdel Rahman, Dar Al-Andalus, Beirut, 1st
•Lisan al-Arab: Muhammad bin Makram Ibn Manzur, Beirut, Dar Sader.
•Philosophical Dictionary: Jamil Saliba, International Book Company, Beirut, 1994.
•The Concept of History, Concepts and Origins: Abdullah Al-Arawi, Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1992.
•From philosophies of interpretation to theories of reading: Abdel Karim Sharafi, Difference Publications, ed.,
•Zuhair Ibn Abi Salma's position on peace and war: Nazik Azzam, Humanities and Social Sciences Studies, vol.
•Text and interpretation: Written by: Moncef Abdel Haq, Arab and Global Thought Magazine, p. 3.
•The theory of interpretation, discourse and surplus meaning: Paul Ricoeur, published by: Saeed Al-Ghanimi, Beirut, Casablanca, Cultural Center, 1st edition, 2006..
•Systematic criticism: Representations of style in pre-Islamic poetry: Youssef Mahmoud Alimat, Al-Ahlia Publishing and Distribution, 1st edition, 2015.
•Hermeneutics of Arabic Poetry: Dr. Youssef Iskandar, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st edition,

هوامش البحث

(١) نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى : بول ريكور ، ت: سعيد الغانمي , بيروت ، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط١، ٢٠٠٦: ١٤٦.

(٢) النص والتأويل: ت: منصف عبد الحق مجلة العرب والفكر اذلعالمي ، ع٣، : ٤٧

(٣) التأويل الشعري في النقد التطبيقي الجزائري : سيدي بالعباس ،جامعة جيلالي ليابس ، كلية اللغات والفنون، الجزائر، ٢٠١٦. ١-٢.